

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة (اتق الله حيثما كنت) الواحة

١٣/١١/١٤٢٨هـ

عن أبي ذر ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) عن رسول الله ص قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن » .

عباد الله هذه وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده ، فإن حق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته ، فالتقوى وصية الله للأولين والآخرين ، قال تعالى { ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله } .

وتقوى العبد لربه : أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من عذاب ربه وغضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معصيته .

ما أحوجنا يا عباد الله إلى تحقيق التقوى في قلوبنا وقلوب أبنائنا وبناتنا في زمن عج بالمنكرات وسهلت الخلوات مع توفر التقنيات ، فالفرد بحاجة إلى التقوى عند مشاهدة القنوات ، وبحاجة إلى التقوى عند تصفح المواقع والدخول إلى الشات ، وبحاجة إلى التقوى في المكالمات ، وفي هذه كله ونحوه بحاجة إلى مراقبة ذاتية في وقت صعبت فيه المراقبة الخارجية ، بحاجة إلى عمارة القلوب بالتقوى التي تجعل الإنسان يحاسب نفسه على أعماله لنجو من عذاب الله وعقابه { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } أي اتقوا سخط الله وغضبه ، وهو أعظم ما يتقى ، ومن اتقى الله سبحانه وتعالى وقاه ، قال تعالى { هو أهل التقوى وأهل المغفرة } أي هو أهل أن يخشى ويهاب ويحجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه ، لما استحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس .

ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات ، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات ، وهي أعلى درجات التقوى .

قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجوا ثواب الله ، وأن تترك معصية الله ، على نور من الله ، تخاف عقاب الله .

قال ابن المعتز :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقوله (صلى الله عليه وسلم) اتق الله حيثما كنت أي في السر والعلانية ، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه ، كما قال رسول الله ص لأبي ذر : « أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته » .

فالمؤمن يستحضر عظمة الله في كل وقت ، وهذا هو السبب الموجب لخشية الله في السر ، كما يخشاه في العلانية ، فإن من علم أن الله يراه حيثما كان ، وأنه سبحانه وتعالى يطلع على باطنه وظاهره ، وسره وعلانيته ، واستحضر ذلك دائماً ، فإنه في هذه الحال لا يشاهد من القنوات إلا النافع والمفيد أو على الأقل ما هو مباح ، كما أنه لا يقلب من صفحات الإنترنت إلا كذلك ولا يكون من أهل الشات الذين يقعون في المحرمات ، وهو أيضاً ليس من أهل المكالمات المحرمة التي وقع فيها البعض .

عباد الله ، إن تقوى الله في السر هي علامة كمال الإيمان ، وله تأثير عظيم في إلقاء الله لصاحبه الثناء في قلوب المؤمنين ، ومن صار له هذا الحال دائماً ، أو غالباً ، فهو من المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ، فهو على حذر دائم من معاصيه ، وعلى رجاء قوي في رحمته ومثوبته .

الخطبة الثانية

عباد الله ، لما كان العبد مأموراً بالتقوى في السر والعلانية ، مع أنه قد يقع منه أحياناً تفريط في التقوى ، إما بترك المأمورات أو ارتكاب بعض المحظورات ، لهذا فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لمعاذ : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » أي افعل من الصالحات ما تمحو به السيئات . وقال تعالى { وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين } .

وقد يراد بالحسنة في قوله عليه السلام : « وأتبع السيئة الحسنة » التوبة من تلك السيئة ، وقد جاء ذلك صريحاً من وصية الرسول ص لمعاذ ، ومنها « واذكر الله عز وجل عند كل شجر وحجر ، وإن أحدثت ذنباً فأحدث عندك توبة » .

قال تعالى { وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى } .

وقد يراد بالحسنة ما هو أعم من التوبة ، أي التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بعمل صالح مع إخلاص النية يكفر الله به الخطايا .

ومن الحسنات المكفرة على سبيل المثال الوضوء والصلاة ، كما في صحيح مسلم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : « من توضأ وأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » .

وعن عثمان (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : « ما امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » .

وقد ورد أن صيام رمضان مع إخلاص النية يكفر الذنوب ، وكذلك الحج والعمرة .

هذا مع اتفاق الأمة على أن التوبة فرض لأن الله أمر عباده بها والعزم عليها ،
وعدم الرجوع إلى المعصية ، وجعل من لم يتب ظالماً فقال { ومن لم يتب فأولئك هم
الظالمون } .

ومن خصال التقوى : أن يخالق المؤمن الناس بخلق حسن ، فعلى المؤمن أن
يحسن العشرة مع الناس ، وقد جعل النبي ص حسن الخلق أكمل خصال الإيمان في
قوله « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » .

فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في كل قول وعمل ، وسلوه محاسن الأخلاق واستغفروه
يغفر لكم .